

الأبعاد الإثنوبولوجية في زيارة الأربعين (دراسة موضوعية وصفية)

م.م رقية حيدر طاهر القاضي
كلية العلوم السياسية - جامعة الكوفة
ruqaiah.alqathi@uokufa.edu.iq

ملخص البحث

لعل من أوضح ملامح ثورة الامام الحسين عموماً وزيارة الاربعين خصوصاً، أن الأقلام كلما عاودتها وجدت فيها عطاءً ومنبعاً جديداً ومنهلاً معطاءً، كما ان من المعلوم لدى كل باحث ان واقعة الطف في حقيقتها عطاء ثرُّ ما ان تعاود الاقلام حتى تجد ذلك الينوع المتدفق المليء بالعطاء، ان الدم الذي أراقه سيد الشهداء الحسين في كربلاء كان حياً وسيبقى، والسر في ذلك انه امتداد لدماء الانبياء، وقد اخذت تلك الدماء طريقها الى الخلود في الحياة، ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، إذ لا يختلف اثنان على أن زيارة الأربعين قد تحولت في كل عام إلى حدث عالمي مهم من أحداث العالم بل أكبر حدث عالمي من حيث مشاركة البشر من كل بقاع العالم قاصدين كربلاء الحسين (عليه السلام) ومشاركين في تلك المسيرة المليونية، إذ لم تعد هذه الزيارة مقتصرة على البعد المحلي كما كان الوضع في القرون السالفة.

الكلمات المفتاحية: زيارة الأربعين، الأبعاد الإجتماعية، الإنترنتولوجيا، الإنترنتولوجيا

الإجتماعية.

dimensions of the Arbaeen visit (objective descriptive study)

M.A Ruqaya Haider Taher Al-Qadi
College of Political Science - University of Kufa

Abstract

One of the clearest features of Imam Hussein's revolution in general and the Arba'een visit in particular is that every time the pens returned to it, they found in it giving, a new source, and a giving source. It is also known to every researcher that the Al-Taf incident was, in reality, a rich giving. As soon as the pens returned, they found that flowing spring full of giving. The blood that the master of the martyrs, Hussein, shed in Karbala was alive and will remain, and the secret in that is that it is an extension of the blood of the prophets, and that blood has made its way to immortality in life.

“And do not say of those who are killed in the cause of God that they are dead; rather, they are alive, but you do not perceive it.” No two people disagree that the Arbaeen pilgrimage has turned every year into an important global event in the world, in fact the largest global event in terms of the participation of people from all parts of the world, heading to Karbala. Al-Hussein, peace be upon him, and participants in that million-man march, as this visit is no longer limited to the local dimension, as was the case in previous centuries.

Keywords: Arbaeen visit, social dimensions, anthropology, social anthropology.

مشكلة الدراسة :

مشكلة الدراسة تمثلت في دراسة هذا البعد العالمي وتوجيه بوصلة البحث في دراسة الابعاد الانثروبولوجية في الزيارة الربيعية ، وذلك من خلال مشاركة الناس من مختلف الأجناس والأعراق والقوميات والبلدان والأديان والمذاهب فيها ، إذ مع التنوع للمستويات واختلاف اللغات... اتى اصحاب هذه القوميات والبلدان من كل فج عميق، من مئات المدن وآلاف القرى عابرون فوق حدود الفوارق اللغوية والعرقية والطائفية، عابرون فوق حدود الطبقة والفوارق العنصرية و فوق حدود خرائط الدول والأمم والشعوب والأقاليم، أولئك هم زوار الربيعين.

هدفت الدراسة الى:

دراسة البعد والأثر الانثروبولوجي الذي تحمله زيارة الربيعين كونها تحقق طفرة معنوية ونفسية في البناء الاجتماعي لكل المجتمعات بكافة فئاتها، إذ يمكن أن تساهم في بناء التماسك الاجتماعي إذا ما أستثمر بشكل جيد ، كما يهدف البحث الى بيان مدى الحاجة إلى تحويل هذه الزيارة المقدسة إلى رسالة للعالم والتي بدورها تكشف عن أفكار جوهرية مثل التسامح واللاعنف والتعايش، وتكون الجموع الزائرة تموجات ضاغطة لنصرة المظلومين في مختلف أنحاء العالم .

أهمية الدراسة:

إن زيارة الربيعين وكما يراها العديد من المختصين في علم الاجتماع هي عبارة عن مؤتمر إنساني عالمي لا يختص بطائفة من المسلمين دون غيرهم، بل لا يختص بالمسلمين أنفسهم دون غيرهم من بقية الديانات سواء أكانت سماوية أم أرضية، وعليه لابد من تفعيل دور الإعلام بشتى أنواعه لتعريف الوافدين إلى قبلة الأحرار

أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) بالجانب الإنساني العظيم ، وهي بذلك عنوان للتعايش المجتمعي، فالناس بمختلف جنسياتهم يتجهون نحو مكان واحد إلى كربلاء المقدسة، لا تفرق بينهم الخلافات السياسية ولا القومية ولا الحزبية فهي انموذج حي للتعاون، وفيها تكسر كل الحواجز بين الطبقات الاجتماعية .

توصلت الدراسة الى:

ان زيارة الأربعين تكتنز قيماً ومبادئ اجتماعية ودينية وثقافية وسياسية متعددة بصورة أعمق ، ومن خلال الدراسات الاجتماعية للزيارة الأربعينية، ومن خلال تسليط الضوء على عدة جوانب منها توصلنا الى ان من المهم فهم كيف يؤثر هذا الحدث الديني الكبير والضخم عالمياً على بنية المجتمع وتكوينه وتطوره و كيف يمكن أن تقوي الزيارة الأربعينية المليونية الهوية الدينية والانتماء الاجتماعي للمشاركين، وتعزيز الترابط الاجتماعي والوعي الجماعي، ونتمكن من معرفة ذلك بشكل اكبر من خلال دراسة ما يمكن أن يؤثر ذلك على الديناميكيات الاجتماعية والتوازن في المجتمع، كما لا يخفى تأثير الزيارة الأربعينية على السلوك الاجتماعي والمعتقدات، وكيف يمكن أن تشكل وتغير القيم والتصورات الاجتماعية لدى الأفراد في كل المجتمعات .

وأوصت الدراسة:

في نهاية هذه الرحلة العلمية إنتهت الدراسة بمجموعة من التوصيات أهمها:زيادة منسوب الوعي الديني والثقافي والعلمي من خلال عقد الندوات الدينية والعلمية والثقافية، ونشر وتوزيع الكتب الدينية والعلمية مجاناً على الزائرين، وإقامة المؤتمرات العلمية التي تتناسب مع ذكرى الأربعينية، وتجنب إثارة المسائل الخلافية والإشكالية التي تؤدي إلى الفرقة والنزاع والصدام بين المؤمنين، والتركيز على نقاط

الاتفاق والاتحاد كما توحد الناس في زيارة الأربعين تحت راية الإمام الحسين عليه السلام الجامعة لكل زواره، والعمل على تأسيس مراكز علمية متخصصة بدراسة الزيارة الأربعينية من مختلف أبعادها وجوانبها، وعمل دراسات ميدانية حول ظاهرة الزيارة، كما اوصت بإظهار الزيارة الأربعينية على المستوى العالمي بصورة واعية وحضارية، واستخدام الخطاب المناسب الذي يفهمه ويتقبله الناس من مختلف الأديان والمذاهب والمدارس الفقهية والفكرية، والاستفادة من وسائل الإعلام الحديثة الناطقة بمختلف اللغات العالمية لتعريف العالم برسالة الإمام الحسين عليه السلام فالقيم والأهداف التي ضحى من أجلها الإمام هي قيم وأهداف إنسانية يؤمن بها جميع العقلاء في العالم.

المقدمة

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ بِلاَ أَوَّلٍ كَانَ قَبْلَهُ، وَ الْآخِرِ بِلاَ آخِرٍ يَكُونُ بَعْدَهُ أَوَّلَهُ الْحَمْدُ الَّذِي مَنْ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دُونَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْقُرُونِ السَّالِفَةِ بِقُدْرَتِهِ الَّتِي لَا تَعْجِزُ عَنْ شَيْءٍ وَإِنْ عَظُمَ، وَ لَا يَفُوتُهَا شَيْءٌ، وَ الصَّلَاةَ وَ السَّلَامَ عَلَى خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَ الْمُرْسَلِينَ، وَ عَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الْكِرَامِ الطَّاهِرِينَ مِنَ الْآنَ إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ، أَلَسَلَامٌ عَلَى وَليِّ اللَّهِ وَ حَبِيبِهِ، أَلَسَلَامٌ عَلَى خَلِيلِ اللَّهِ وَ نَجِيبِهِ، أَلَسَلَامٌ عَلَى صَفِيِّ اللَّهِ وَ ابْنِ صَفِيِّهِ، أَلَسَلَامٌ عَلَى الْحُسَيْنِ الْمَظْلُومِ الشَّهِيدِ أَلَسَلَامٌ عَلَى أَسِيرِ الْكُرْبَاتِ وَ قَتِيلِ الْعَبْرَاتِ » لما كانت المقدمة هي المرآة الصغيرة العاكسة لهذا البحث، لذلك سيُعرض في هذه المقدمة توضيح لما هو كامن في وريقاته، وإذكاء لما هو دفينٌ تحت رماده، إذ لا يخفى على أي مطلع أن الحوادث التاريخية المميزة، ذات البعد العقائدي في المسيرة البشرية، تعد محطات تعبوية، تنهل من معينها أجيال الغد، عبراً ودروساً، تؤخذ بنظر الاعتبار، كونها تسلط الضوء على المحطات ذات البعد الحركي في تاريخ الأمم، وتبرز عوامل الإخفاق والنكوص، وكذلك عوامل

القوة والنجاح المتمثل، بما تحمله من مبادئ أنسانية وقيم تخدم المسيرة البشرية ، ونحن عندما نحّي الزيارة الأربعينية للإمام الحسين « عليه السلام » والتي لها أبعادها ، كالبعد الإنساني: وما تحمله من معاني الخير والسلام لعموم البشرية، بغض النظر عن الطابع الجغرافي، والقومي، والعقدي، باعتبار المشروع يحمل في جنباته، تطلعات المحرومين، والمضطهدين، ولذلك تعتبر رمزاً يقتدى بشعاعها ، ومبدئياً وقبل البدء في غمار البحث وهذه الرحلة الحسينية الكربلائية النيرة ، وكما هو معروف أنّ التناول العلمي للظاهرة الدينية في العلوم الاجتماعية لاتقف وراؤه دوافع اعتقادية، لذلك يتطلب من الباحث قدر استطاعته أن يتجرد من ميوله الإيمانية والمذهبية عند دراسة ظاهرة دينية ما لتكون أحكامه موضوعية وبعيدة عن الميول الشخصية.

وبذلك ومن هذا المنطلق سنخصص هذا البحث للحديث عن الأطر والأبعاد الإنثروبولوجية _ الدينية _ والاجتماعية في الزيارة الأربعينية الحسينية، إذ اننا لانضيف الجديد فيه بقدر ما إننا نبحت فيه عن رؤية كونية شاملة يقودها الإمام الحسين (عليه السلام)، بسيرته الطاهرة ودمه الزكي، ونسعى كي تتضح الأمور للمسلمين وغير المسلمين من الهدف الحقيقي للزيارة الأربعينية، فالحسين (عليه السلام) يمثل الإنسانية بأسرها، ومن وحي الزيارة الأربعينية نحاول استقصاء الأطر التي تحدّث عنها عنوان البحث، فكل ظاهرة دينية يمكن دراستها بلحاظ البعد الإيماني العقدي مرة وبلحاظ البعد العملي التقنيي أخرى وبلحاظ تاريخي تحليلي ثلاثة فهذه الأبعاد الثلاثة هي الرائجة في دراسة الأديان والظواهر الدينية، وزيارة أربعين الإمام الحسين (عليه السلام) باعتبارها ظاهرة دينية تكرارية - تتجدد في كل عام - لا بد من دراستها بجميع أبعادها لأجل اقتطاف الثمرة المرجوة منها؛ لأن السلوك دينيا كان أم غير ديني إذا لم يخضع للفكر سيكون عشوائيا ويذهب سدى دون فائدة تذكر لذا قيل: أصل السلوك فكرة ، أضف إلى ذلك أن

السلوك المستند إلى فكر رصين يكون المحرك والباعث عليه قناعة راسخة في ذهن الإنسان منشؤها الفكر تولد التزاما وحرصا ودقة في مقام التطبيق، انطلاقا من ذلك سنسلط الضوء وبشكل مختصر على الأبعاد الانثروبولوجية - الدينية - الاجتماعية لهذه الزيارة التي أصبحت أكبر التجمعات الدينية في جميع أصقاع العالم وأكثرها تنوعا من حيث الانتهات والقوميات.

نسأله تعالى بأن نوفق بتقديم دراسة علمية قيمة ينتفع بها كل من طرق باب العلم والمعرفة وأن تكون دراستنا هذه هي خطواتنا الأولى لما نقدمه لقدام الأيام بعونه وتوفيقه تعالى.

المبحث الأول

مشروعية الزيارة الأربعينية وأبعادها الاجتماعية على الفرد والمجتمع

المطلب الأول : مشروعية زيارة الأربعين وفضيلتها ومكانتها

مشروعية زيارة الأربعين:

لا يخفى ان زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) مشياً على الأقدام، يعدّ من أفضل القربات إلى الله عزّ وجلّ، كما أكّد ذلك ائمتنا الأطهار، ثم لمشينا على الأقدام لسيد الشهداء (عليه السلام) وفي خصوص يوم الأربعين، دلالات واضحة تعلن عن ولائنا الخالص لأهل البيت، وتجديد العهد والبيعة منّا له، ومن الروايات المعتبرة الدالّة على استحباب المشي في الزيارة مؤكّداً بنحو عام وآخر في خصوص زيارة الحسين (عليه السلام): روى العياشي بسنده عن معاوية العجلي قال: كنت عند أبي جعفر (عليه السلام) إذ دخل عليه قادم من خراسان ماشياً، فأخرج رجله وقد تغلفنا - أي تشققتنا، وقال: أما والله ما جاءني من حيث

جئت إلا حبكم أهل البيت، فقال أبو جعفر عليه السلام: والله لو احبنا حجر حشره الله معنا) الشيخ الطوسي ، ٢٠٠٩، ج ٦ الصفحة ١١٣-١١٤).

وهذا يدل بوضوح أن الرجوع مشياً كذلك، فإن له الأجر المضاعف، ومن باب (كلهم نور واحد) وفي هذه الفضائل المتعلقة بأصل الإمامة بمنزلة واحدة ، ومن باب (تنقيح المناط الاطمئنان) الذي يفيد الظن المتأخم للعلم الواقعي، ويسمى بالعلم العادي، نجري الحكم في زيارة الإمام الحسين عليه السلام لوحدة الملاك ، فالذهاب إليه ماشياً له ماله من الأجر والثواب كما في الروايات الشريفة ، والإياب منه كذلك ماشياً له ضعف ما له في الذهاب، والروايات الواردة في خصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام: عن الإمام الصادق عليه السلام: يا بن مارد من زار جدِّي عارفاً بحقه كتب الله له بكل خطوة حجة مقبولة وعمرة مبرورة (المصدر نفسه ، الصفحة ١١٥). وعن صفوان بن مهران قال: أن أبا عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام لما قدم إلى الحيرة ، قال لي : هل لك في زيارة قبر الحسين وهل تزوره ؟ فقلت : جعلت فداك وكيف لا أزوره في ليلة الجمعة ، وقلت : يا بن رسول الله هل تزوره يوم الجمعة حتى ندرك زيارته ؟ قال : نعم يا صفوان ، فأتينا كربلاء، ونزل الصادق عليه السلام قرية الغاضرية على ضفة الفرات فاغتسل ولبس ثياب الطهر، وتوجه ماشياً نحو قبر جدّه أبي عبدالله الحسين عليه السلام، وعند وصوله إلى باب الحرم الشريف ، انكبّ على القبر وقال : السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله... إلى آخر الحديث (فكان الإمام الصادق عليه السلام ولنا فيه أسوة حسنة وقدوة صالحة ، من أوائل المشاة لزيارة قبر جدّه سيّد الشهداء عليه السلام وإن في زيارته مشياً من الأجر والثواب ، ومن الأسرار وفتح الأبواب ، وقضاء الحوائج والشفاعة ما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ، وان اللسان ليعجز ، والقلم ليكل عن بيانه وإحصائه).

أفضلية زيارة الأربعين:

إن زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) هي من المستحبات المؤكدة في مشهور فتاوى فقهاء الإمامية ، وقال بعضهم بوجوبها في العمر مرة على القادر ولكن الحكم بالوجوب ليس مشهوراً ، فالشهرة الفتوائية على الاستحباب المؤكد ، وهذا الاستحباب المؤكد هو من الأمور الثابتة مطلقاً في أي وقت وفي كل آن وأوان ومنه تمام أيام وأوقات السنة ، ودل على هذا الاستحباب المطلق الروايات المتواترة والصريحة التي تقدم ذكرها والتي يطول بنا المقام بعرضها جميعها، والدليل الفقهي الأساسي العام على مشروعية زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) مطلقاً هو من أدلة مشروعية الزيارة الأربعينية ، فتكون زيارته (عليه السلام) في اليوم المصادف ليوم الأربعين من استشهاده داخلته في عموم ما دلّ على استحباب زيارته في مُطلق أيام السنة « (الطوسي، ١٩٩٨، الصفحة ٧٨-٧٩) ».

أما ما يمكن الاستدلال به على استحباب الزيارة الأربعينية بالخصوص فهو النص الذي أورده الشيخ الطوسي رحمه الله في كتابه: التهذيب، قال: أخبرنا جماعة من أصحابنا عن أبي محمد هارون بن موسى بن أحمد التلعكبري، قال: حدثنا محمد بن علي بن معمر، قال: حدثني أبو الحسن علي بن محمد بن مسعدة والحسن بن علي بن فضال عن سعدان بن مسلم عن صفوان بن مهران الجمال، قال: قال لي مولاي الصادق عليه السلام في زيارة الأربعين: تزور عند ارتفاع النهار وتقول: السلام على ولي الله وحبيبه، السلام على خليل الله ونجيبه، السلام على صفي الله وابن صفيته، السلام على الحسين المظلوم الشهيد، السلام على أسير الكربات وقتيل العبرات وتُصلي ركعتين وتدعو بما أحببت وتنصرف، وهذه الرواية موثقة من طريق الحسن بن علي بن فضال (فمحمد بن علي بن معمر هو أبو الحسين بن معمر الكوفي

ذكره الشيخ الطوسي في كتابه : " الفهرست " ، وأفاد أن له كتباً منها كتاب : " قرب الإسناد " ، وذكره في الرجال تحت عنوان محمد بن علي بن معمر الكوفي ، قال : ويكنى أبا الحسين صاحب الصيحي ، سمع منه التلعكبري سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، وله منه إجازة وعنونه ابن النديم البغدادي في فقهاء الشيعة ومحدثيهم وعلمائهم بلفظ « أبو الحسين بن معمر الكوفي » قائلاً : وله من الكتب كتاب قرب الإسناد . . فالرجل إذن من المعاريف ولم يرد فيه قدح فهو ثقة ، وأما سعدان بن مسلم فهو من المعاريف كذلك ، ومن أصحاب الأصول ، وهو من مشايخ صفوان بن يحيى البجلي الذي لا يروي ولا يُرسل إلا عن ثقة ، وقد وثقه علي بن ابراهيم القمي في تفسيره ضمن توثيقه العام لرجال أسناده في التفسير ، وأما بقية رجال السند فهم من الثقات الأجلاء ، الشيخ الطوسي ، تهذيب الأحكام ، ج ٦ ص ٥٢ ، ولذلك فالرواية معتبرة سنداً وهي من حيث الدلالة صريحة في أن ليوم الأربعين زيارة خاصة يُزار بها الإمام الحسين عليه السلام وذلك يقتضي تأكيد الاستحباب ، فضلاً عن أن (الأربعين) اسمُ أسند إليه الألف واللام العهدية حيث إن زيارة الإمام يوم الأربعين من يوم شهادته أمرٌ معهودٌ بين الشيعة ، لذا لم تقتضِ الصّورة ذكراً قيده لفظياً أو قرينة لفظية تحدّد أو تقيّد اللفظ المذكور باليوم المعهود وهو العشرون من صفر ، فثمة قرينة حالية أوجبت فهم العلماء الأعلام من هذا الجملة خصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام ، والقرينة الحالية هي السيرة القائمة على زيارة الإمام عليه السلام في العشرين من صفر (الشيخ الطوسي ، ١٣٦٥ هـ ، الجزء ٢ ، باب فضل زيارة الحسين ، الصفحة ١٧) .

الثاني : الظاهرة الإجتماعية وزيارة الأربعين

أنّ الظاهرة الاجتماعية مفهوم يستخدم في علم الاجتماع لوصف ودراسة العمليات والأنماط والتفاعلات التي تحدث بين الأفراد أو المجموعات في المجتمع، و يستخدم علماء الاجتماع هذا المصطلح لتحليل وفهم التفاعلات الاجتماعية وإشكالياتها وتأثيرها على الأفراد والمجتمع بشكل عام، وتشمل الظواهر الاجتماعية مجموعة متنوعة من العناصر والمواضيع، مثل الثقافة، والهوية الاجتماعية، والتغير الاجتماعي، والسلوك الجماعي، والعلاقات الاجتماعية، والقيم والمعتقدات. يهتم علماء الاجتماع بدراسة هذه الظواهر وتحليلها بشكل علمي لفهم تفاعلات المجتمع وديناميته (فالظاهرة الاجتماعية هي فعل ذي ثلاثة ابعاد حسب السيد محمد باقر الصدر (١٩٣٥-١٩٨٠)، وهذه الابعاد هي: الفاعل والغاية والموج الذي يحدثه الفعل في المجتمع، او بالمصطلحات الفلسفية التي استخدمها الصدر: العلة الفاعلية، والعلة الغائية، والعلة المادية. وبحسب الصدر فلا يكون الفعل ظاهرة اجتماعية ما لم يخلق موجا. (محاضرات التفسير الموضوعي، المحاضرة السادسة ١٣٩٩ هجرية).

ونحن نرى اليوم ان الزيارة الاربعينية تحولت الى امواج بشرية ولم تعد افعالا فردية ذات بعدين فقط هما الفاعل والغاية. فالظاهرة الاجتماعية موج اجتماعي يكاد يذوب فيه الافراد.، وللزيارة الأربعينية تأثير اجتماعي على مستوى المجتمع بأكمله، فهي تعكس التكافل الاجتماعي والترابط الاجتماعي كما يمكن أن تؤدي الزيارة الأربعينية إلى تأثيرات اجتماعية أخرى مثل التعاون بين الأفراد وزيادة الوعي الديني والقيم الاجتماعية المشتركة، ومن هذا المنطلق يتوجب على علماء الاجتماع في العراق وخارجه دراسة الزيارة الأربعينية بوصفها ظاهرة اجتماعية- دينية، وليس

بوصفها شعائر دينية فقط ، ولكي يعتبر الشيء ظاهرة اجتماعية ويتم دراسته من قبل علماء الاجتماع على هذا الأساس، يجب توفر مجموعة من الشروط الأساسية (الشيخ السبحاني، ٢٠١٠، ص ١٠).

ومن شروط الظاهرة الاجتماعية:

١. وجود تفاعل اجتماعي: أي يجب أن يكون هناك تفاعل بين الأفراد أو المجموعات، حيث يتفاعل الأفراد ويؤثرون في بعضهم البعض عن طريق التواصل والتفاعل الاجتماعي، ولا يخفى بما يحدث من تفاعل كبير بين زوار الزيارة وبين بعضهم بعضاً، حيث يتشاركون في التواصل والتفاعل الاجتماعي.

٢. مشاركة الأفراد: يجب أن يشارك الأفراد في هذا التفاعل الاجتماعي، حيث يتواصلون ويشاركون في الأنشطة والممارسات الاجتماعية معاً، وفي زيارة الأربعين يشارك الآلاف بل الملايين من الأفراد في هذه الزيارة، حيث يتوجهون جميعاً إلى المكان نفسه ويلتقون هناك لأداء الزيارة المشتركة.

٣. الانتشار: يجب أن تكون الظاهرة منتشرة بين جماعة كبيرة من الأفراد وأن يكون لها تأثير شامل على المجتمع، حيث تجتذب الزيارة الملايين من الزوار من أنحاء مختلفة من العالم، وتؤثر على المدينة بشكل شامل وتحولها إلى مركز للتواجد الاجتماعي والمشاركة الجماعية (السلامي، شبكة النبا المعلوماتية ٢٠١٨).

٤. الثبات والاستمرارية: يجب أن تكون الظاهرة مستمرة وثابتة على مر الزمن، وأن تقوى وتتطور بمرور الوقت دون أن تنقرض تماماً، فالزيارة الأربعينية تحدث سنوياً وتعتبر تقليداً دينياً مستمراً منذ قرون، ولا تتوقف بل تتطور وتنمو مع مرور الوقت (المصدر نفسه).

٥. الاستقلالية: يجب أن تكون الظاهرة مستقلة بذاتها عن الأفراد المشاركين فيها، ويجب أن يكون لها تأثير على الأفراد والمجتمع بشكل منفصل، وتعتبر الزيارة الأربعينية ظاهرة اجتماعية ودينية مستقلة بذاتها وتؤثر في الأفراد والمجتمع بشكل منفصل ومتجاوب مع التوجهات والممارسات الدينية (د. أبو الخير، ٢٠٠١م، ص ٥).

المبحث الثاني

الأنثروبولوجيا وأبعادها الواقعية في الزيارة الأربعينية

المطلب الأول : الأبعاد الأنثروبولوجية وتأثيرها في الواقع والمجتمع:

علم الإنسان الاجتماعي أو الأنثروبولوجيا الاجتماعية : هو من ضمن الفروع الأربعة أو الخمسة التي تؤلف علم الإنسان والذي يدرس كيفية تصرف البشر المعاصرين في مجموعات اجتماعية، وكذلك يبحث علم الإنسان الاجتماعي في دور معاني الحياة الاجتماعية ، والمنطق الكامن وراء السلوك الاجتماعي، ويحلل علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية تنوع المواقف ووجهات النظر التي يمكن العثور عليها في أي مجموعة اجتماعية (جعفر نجم نصر، ٢٠١٧، ص ٤٤).

في هذه الجزئية من البحث أردنا ان نوضح ما يتمحور حول الوصول الهادف الى الغاية والهدف الأسمى من زيارة الأربعين للإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) من خلال تسليط الضوء حول الأبعاد الأنثروبولوجية لتلك الزيارة العظيمة ، وحول الاستفادة من هذه الفرص اللامتناهية لدور الإعلام الحالي والممكن، من خلال نقل التجربة وتحويل مغزاها إلى قيمة تأسيسية لمجتمع مقاوم في يومياته وطموحاته، وتهيتها لتكون نمط حياة ، فما نريد أن نوضحه ومن خلال هذا المطلب أن في هذا الفعل الإحيائي الشعائري يجب على جميع الأحرار وفي كل العام أن يُعلموا ويعلموا الناس أن القضية

الأساسية ومحورية الزيارة الأربعينية لا تنتهي بالقتل أو بالدفن أو بالأسر أو حتى فك هذا الأسر، والتحرير هنا هو تحرير العقل بالفعل أولاً، بفعل إرادة المواجهة، ويجب أن يستتبع هذه الإرادة عمل ينهض بالقضية الأساس، إذ أنّ هدف هذه الزيارة أن تصنع منّا أناساً وظفوا طاقاتهم، وقدراتهم، وإمكاناتهم وكفاءاتهم في خدمة الإنسان وصالح الإنسان بكامل تجلياتها ومستوياتها وأشكالها، بدءاً من الدائرة الضيقة التي تخصنا، وانتهاءً بالدائرة الأوسع والأبعد وصولاً إلى العالمية والكونية (د. أبو الخير، ص ١٧) ، فلم تختص الزيارة الأربعينية بمذهب من المذاهب أو دين من الأديان أو فئة محددة بل ضمت جميع الأديان والمذاهب والفئات على امتدادها وتعددتها إذ لفتت ظاهرة التجمّع والحشود الشعبية غير المسبوقة في إحياء شعيرة زيارة أربعين الإمام الحسين (عليه السلام) علماء الاجتماع والسياسة، إلى الأبعاد الأيديولوجية والثقافية والسياسية التي حكمت تاريخياً وما زالت المناخ الثقافي الشيعي منذ بداية الألفية الثالثة، وفي جزئيات بحثنا حول (الأبعاد الأنثروبولوجية لزيارة الأربعين) لا يخفى بأن كان للكاتبة والمخرجة الفرنسية سابرينا ميرفان، فلم بعنوان (وبكت السماء أربعين يوماً) دارت محاوره حول زيارة أربعينية الإمام الحسين (عليه السلام) وما يحمله طريق الزائرين من طقوس ومظاهر اجتماعية ودينية، إذ أنّ الباحثة والمخرجة الفرنسية سابرينا ميرفان قالت في تصريح لها لمركز الإعلام الدولي: «تولّد لديّ هذا الاهتمام لكوني مؤرخة (انثروبولوجيا) وأعمل على أبحاث حول الإسلام الشيعي في العالم، أركزُ فيها على جانبيين، الأول يسלט الضوء على عمل الحوزة العلمية وكيفية الدراسة فيها وكيفية الجانب العملي بعد التخرج من هذه الحوزة العلمية وكيفية تقديم البحوث، والجانب الثاني يتناول أماكن العبادة التي تتم فيها الزيارات المهمة والطقوس الدينية الخاصة بالمسلمين الشيعة وأهمها زيارة الأربعين للإمام الحسين (عليه السلام)، وأضافت ميرفان» ركّزتُ في هذا الفلم الذي يحمل عنوان (وبكت السماء أربعين يوماً) على الناحية

الانثروبولوجية لدراسة تصرّف الناس في زيارة الأربعين، ودراسة هذه التقاليد التي يقومون بها، حيث يتوجّه الملايين كباراً وصغاراً لإحياء هذه الزيارة تاركين كل شيء وراء ظهورهم، وتشعر وكأنها الزمن يتوقف والحياة تتوقف، وتطغى روحية مقدسة على هذه الطقوس، وهذا ما نسميه ليس فقط بالمدينة الفاضلة كمصطلح افتراضي، إنما تجسيد واقعي للمدينة الفاضلة (مبيّنة: «ان هذا البحث (الفلم) يثير الكثير من التساؤلات ومنها تساؤلات انثروبولوجية متخصصة لدى الكثير من الباحثين من الناحية الروحية، ومن ناحية الذاكرة الجمعية، حيث تنتقل هذه الطقوس من جيل إلى جيل، متمسكةً بالعميقة والتحمّس الديني لأبعد الحدود»، وألفتت سابرينا» إلى روحية العطاء الشاخصة في هذه الزيارة المليونية، حيث أن هذه المواقب _ بحسب تعبيرها _ تقدّم كافة الخدمات بشكل مجاني على طول الطرق المؤدية إلى المدينة الفاضلة)، وبحسب ما إطلع عليه البحث فإن هذا الفلم مهم جداً لنقل صورة الحشود المليونية في زيارة الأربعين والطقوس والعادات والخدمات التي يقدمها الناس للزائرين بصورة مجانية، والتعريف بمأساة كربلاء عالمياً، وهو خطوة جيدة لإيصال رسالة هذا الحدث العظيم والتعريف بأهمية كربلاء كمدينة مقدسة تحمل معاني سامية وصفات انسانية غاية في الروعة، إذ كان الفلم عبارة عن تجربة عفوية، أرادت الباحثة تسليط الضوء من خلاله على زيارة الأربعين، ودراسة ما يحتويه هذا الحدث الديني السنوي الكبير، وعكس الصورة الواقعية إلى المتلقي الغربي من أرض الواقع، فضلاً عن أنه كان مخصصاً للمؤسسات البحثية الفرنسية، لتعريفهم بهذه الطقوس والمبادرات المجتمعية المهمة التي تحتويها، والتي لا توجد في مجتمعات أخرى، وإعطاء صورة واقعية حول التسامح والكرم والتكاتف الذي يتميز به المجتمع العراقي، فعندما يتحدث الآخرون عنك فهذه خطوة كبيرة ومهمة، خاصةً وأن مسيرة الإمام الحسين (عليه السلام) كان لها أثر كبير وفتت الأنظار في السنوات الأخيرة، مما جعلت الآخرين يريدون التعرف

على هذه الزيارة خصوصاً و مذهب التشيع عموماً (الصفار، ٢٠٠٨، ص ٣٢) .

كما قام عالم الأنثروبولوجيا (مايكل فيشر) في كتابه (نموذج كربلاء) بتوضيح ومناقشة كيف أن فعل إحياء ذكرى عاشوراء هو حركة اجتماعية، وليس التزاماً فردياً أو شخصياً، حيث تعدّ زيارة الأربعين تجسيداً لـ (نموذج كربلاء) من قبل أولئك الذين يسعون للاقتداء برسالة الإمام الحسين في حياتهم الخاصة، وقد تساءل الكاتب عن السبب الذي يدفع ملايين الأشخاص إلى السفر من جميع أنحاء العالم لأداء مسيرة طويلة مشياً على الأقدام نحو مكان واحد، مشيراً إلى : أن الإجابة تكمن في إظهار حبهم وولائهم وشغفهم تجاه سيد الشهداء (عليه السلام) والمثل العليا التي دافع عنها، وأن وقوفه ضد الاضطهاد السائد في عصره، يلهم هؤلاء الملايين للسير على خطاه، بل ويتعدى الأمر إلى أبعد من ذلك، فإنهم يمشون لأنفسهم، لإحياء مبادئ النضال والتفاني والإيثار، ففي هذه المسيرة، تجد التنوير، والتقدم، والنمو، (إذ قام بتوضيح كيف كانت عاشوراء حدثاً استحوذ على مجموعة قوية من المثل، بما في ذلك العدالة الاجتماعية والأخلاق والحق على الرغم من الفساد السائد آنذاك، وأن إحياء هذه الذكرى ليس مجرد حداد سلبي على الإمام الحسين (عليه السلام)، وإنما بالأحرى، قتال فاعل من أجل إحياء المثل العليا التي دافع عنها. (الصفار، ص ٣٨).

المطلب الثاني: التجليات الانثروبولوجية لزيارة الأربعين:

في هذه الجزئية من البحث سنتناول اهم التجليات الانثروبولوجية الخاصة لزيارة الأربعين و التي تحولت بحكم التراكم الى سلوكيات طقسية يمكن رصدها وتحديد سماتها العامة ، ومن أهم هذه التجليات هي:

أولاً: المواطنة أهميتها في عملية الاستنقاذ

المواطنة مفهوم كبير ونستطيع أن نقول إن زيارة الأربعين أسهمت في بناء مفهوم المواطنة ولكن نحتاج الى الاستمرارية ونحن نبحث عن وطن والوطن يحمي الانسان ويدافع عن كرامته ويحمي حقوقه وحرية المشروعة ويوفر له الهوية والسكن والتعليم، ويأتي من خلال تحقيق البناء الاجتماعي المشترك، والاستنقاذ هو المبادرة ونحن مطالبون بهذه المبادرات سواء أكانت منظمات المجتمع المدني أم المؤسسات الاعلامية أم الجامعات أم الحوزات أم المدارس والجميع مطالب بالاستنقاذ من اجل بناء البلد وتحقيق المواطنة (الشيخ الكربلائي، ٢٠١٨، ص ١٠)، ومفهوم المواطنة يجب أن يحقق العدل الاجتماعي لنا جميعا وهذا يحتاج الى عملية مبدئية قائمة على الاحساس بالمسؤولية والمبادرة وتحمل المسؤولية، إذ أن عملية ترسب الصراعات وتولدها هي نتيجة لعدم وجود ثقافة اجتماعية قائمة على كيفية التعامل مع الآخر فيقولون مثلاً- يعبر عن منطق الظالمين (اذا ضربك أحدهم أرجعها بقوة) نحن نحتاج اليوم الى التعامل بالاحتواء والصبر لان الصبر فضيلة والقرآن ذكر كثيرا الصبر، وزائر الحسين عليه السلام الحقيقي هو صبور ومتسامح لأنه من المفترض أن يعرف المعرفة الحقة لقيمة الزيارة الأربعينية ، أن يجسد كل مثل المواطنة الصالحة خلال سلوكياته وهو في طريق الزيارة ليكون قدوة لكل الناظرة والقادمين من مختلف أرجاء المعمورة ، فاليوم الدول العالمية تضع مؤشرات لقياس مستوى تقدمها او تأخرها وتسمى معايير مثل معايير الجودة والربح والاستقرار، والمسلم الحقيقي والشيعي الموالي لآل البيت (الكرام) لحقيقي عليه ان يقرأ ويستكشف هذه المعايير ويطبقتها ويجسدها في سلوكياته أثناء المشي والزيارة (المصدر نفسه) .

ثانياً: زيارة الأربعين مشروع إصلاح مجتمعي

بناء على هذا يمكن القول إن الزيارة الأربعينية تُعتبر ظاهرة اجتماعية مستقلة مع ممارساتها وتقاليدها الخاصة بها، وتستمر بشكل منفصل عن الأحداث الاجتماعية الأخرى، فعندما يجتمع العديد من الأشخاص لأداء شعائر دينية خاصة في زمن ومكان محددين، تنشأ العديد من الديناميكيات الاجتماعية المختلفة، تشمل هذه الديناميكيات المشاركة الجماعية، والتفاعل الاجتماعي، وبناء العلاقات الاجتماعية (المصدر نفسه، ص ١٧)، وتبادل المعرفة والعادات والقيم الاجتماعية والدينية، ف للزيارة الأربعينية تأثير اجتماعي على مستوى المجتمع بأكمله، إذ إنها تعكس التكافل الاجتماعي والترابط الاجتماعي، حيث يتجمع الناس معاً ويؤدون الطقوس المشتركة، كما تؤدي الزيارة الأربعينية إلى تأثيرات اجتماعية أخرى مثل التعاون بين الأفراد وزيادة الوعي الديني والقيم الاجتماعية المشتركة، فمن خلال الدراسات الاجتماعية للزيارة الأربعينية، يتم فهم كيف يؤثر هذا الحدث الديني على بنية المجتمع وتكوينه وتطوره، يمكن أن تقوي الزيارة الأربعينية الهوية الدينية والانتماء الاجتماعي للمشاركين، وتعزيز الترابط الاجتماعي والوعي الجماعي، فضلاً عن ذلك، يمكن معرفة نظم القيادة والهرمية الاجتماعية التي تعمل خلال الزيارة الأربعينية، وكيف يمكن أن يؤثر ذلك على الديناميكيات الاجتماعية والتوازن في المجتمع، كذلك يمكن أن نفهم من خلال الدراسات الانثروبولوجية تأثير الزيارة الأربعينية على السلوك الاجتماعي والمعتقدات وكيف يمكن أن تشكل وتغير القيم والتصورات الاجتماعية لدى الأفراد (العقاد، ١٩٩٩م، الصفحة ١٥).

بشكل عام، يمكن لعلم الاجتماع الديني أن يوفر أدوات ومفاهيم لفهم التفاعل بين الدين والمجتمع فيما يتعلق بالزيارة الأربعينية وأثرها على الأفراد والمجتمع في تجربة

دينية مشتركة. فالزيارة الأربعينية، أكبر مشروع إصلاحي لواقع الأمة، كما أنها أكبر تجمع إنساني وعالمي يتجاوز الطابع الديني، وتشكّل حدثاً اجتماعياً غير مسبوق في العالم، إذ تختزن الزيارة أكبر عملية تفاعلية على عدة مستويات، إذ إنها تؤمن أبعاداً استراتيجية للثورة بمعناها التقدمي التحرري الأوسع دلالة من الزمان والمكان بما ينتهي معه إمكانية تصنيفها من المنظور العلمي بالظاهرة الخاضعة للعوامل الزمكانية، فهذا الجانب المشرق إذا ما سطع للإنسانية فيسكون عاملاً مهماً في توحيد بني البشر على أساس القاسم المشترك القائم بينهم وهو الإنسانية (المصدر نفسه، ص ١٨).

ثالثاً: الأبعاد التعبوية الاجتماعية

من المفاهيم المهمة في عالم الدعوة وتجميع الجماهير والأنصار هو مفهوم التعبئة، وهي قوّة شعبية كامنة أو ظاهرة لها حضورها في كلّ نواحي الحياة لخدمة قضية ما تهتمّ الوطن أو المواطن، وهي على أنواع، فقد تكون تعبئة عسكرية أو إعلامية أو اجتماعية أو غيرها ومن أهمّ أنواعها هو التعبئة الاجتماعية، وهي تحريك واستنفار المجتمع بكلّ قطاعاته للمشاركة الإيجابية لتحقيق الأهداف المطلوبة (الصفار، ٢٠٠٨، ص ٣٢)، ولا بدّ أن تشمل التعبئة الاجتماعية جميع قطاعات المجتمع من المسؤولين الرسميين والسياسيين، قادة الرأي، القادة المحليين وجموع المواطنين (نساء، رجال، بل الأطفال من مدارسهم) وهذا ما يحصل فعلاً في زيارة الأربعين، فإنّ هناك تعبئة جماهيرية عامّة لتحقيق هدف ديني هامّ في حياة الفرد والمجتمع، فمن أهمّ ما تحتاجه كلّ دعوة سماوية كانت أم أرضية هو وجود قوّة معنوية أو ماديّة أو شخصية قيادية تمتلك (كاريزما) عالية تستطيع أن تخلق جمهوراً وأتباعاً من خلال التعبئة الجماهيرية الواسعة التي تُقدّم الولاء والخدمة مجّاناً وبلا مقابل، والذي يلاحظ زيارة الأربعين لا يجد أيّ مجهود في

التعبئة الجماهيرية، بل الجمهور مقبل على الزيارة وعلى الخدمات بلا نظير، بل كثير من الجماهير يُنفق أموالاً وجهداً مضاعفاً في تلك الأيام وبيتهج بذلك الصرف وبهذا الجهد، وهذا العمل التطوعي العظيم لا تجد له نظيراً في كل العالم، والذي يلاحظ الزيارة الأربعينية يرى قوّة الترابط بين أفراد الزائرين كباراً وصغاراً رجالاً ونساءً أثرياء وفقراء رؤساء ومرؤوسين، فلا تميّز بين غني أو فقير، فالكلّ سواسية، بل في بعض الأحيان ينقلب الميزان وترى الكبير يخدم الصغير، أو المشهور يخدم المغمور، أو الرئيس يخدم المرؤوس، وهذا الترابط الاجتماعي ليس بين مدينة ومدينة، بل بين دولة ودولة، بل بين دول ودول وشعوب وشعوب (المصدر نفسه، ص ٣٥)، فإنّ هناك جماهير من عشرات الدول تلتقي فيما بينها فتكوّن أواصر ووشائج قويّة، فضلاً عن أنّ هناك حواجز اجتماعية ونفسية وثقافية بين شعوب بعض البلدان والبلدان الأخرى بسبب حروب أو غيرها، ولكننا نراها قد ذابت بسبب هذا الملتقى العامّ الحاصل في زيارة الأربعين، إنّ زيارة الأربعين تلغي الطبقية و القطرية و العرقية والقومية، وتلغي العنصرية، وتخلق مجتمعاً مترابطاً يرتبطهم إسم الامام الحسين (عليه السلام) وأربعينته الخالدة، فزيارة الأربعين تُعمّق الوجود التعارفي الذي خُلِقَ له الإنسان، كما إنّها فرصة كبيرة للانفتاح الحضاري بين الأمم (المصدر نفسه).

رابعاً : الأبعاد التضامنية والتكافل الاجتماعي

ما يُعنى به مبدأ التكافل: أن يتعاون الناس على المصاعب المختلفة، وبالطبع قد يختلف مفهوم التكافل بعض الشيء عما يجري خلال الزيارات المليونية كزيارة الأربعين، فالتكافل أو التأمين الإسلامي هو مفهوم تأميني إسلامي يركز على المعاملات الإسلامية المصرفية، مع مراعاة قواعد وأنظمة الشريعة الإسلامية، هذا المفهوم قد

يُمارس في أشكال مختلفة، والتأمين الإسلامي هو اتفاق يتم بين أشخاص يتعرضون لأخطار محددة بهدف تلافي الأضرار الناشئة عبر إنشاء صندوق يتم إيداع اشتراكات فيه على أساس التبرع، ويتم منه التعويض عن الأضرار التي تلحق أحد المشتركين من جراء وقوع الأخطار المؤمن منها، ولكن نحن نخوض بالمعنى العملي للتكافل، إنه يتجسد في ما يقوم به وما يؤديه أهالي المواكب التي تمتد على جوانب ومحارم الطرق الرئيسية والفرعية لتشعر بتقديم خدماتها مجاناً إلى مئات الآلاف من زوار سيد الشهداء، بالطبع دونها كلل أو ملل، وبلا أدنى منة (شمس الدين، ٢٠١٤، ص ٥٨)، أما بخصوص من يقول: (أن ظاهرة التكافل في الزيارة الأربعينية سرعان ما تنتهي مع نهايتها)، فهو قول غير صحيح، قد يصح على الكبار، لكنه لا يمكن أن يصح مع الأطفال، لأن ذاكرة الصغار (الأطفال والمراهقين) تخزن في مركزها جميع ما يراه الطفل ويلمسه ويفعله بنفسه، فتُغرس في ذاكرته أنشطة التكافل، وتنمو معه كسلوك أبدي يستمر معه طالما بقي على قيد الحياة، وهذا هو سر ديمومة المواكب الحسينية، وهذا يشمل الزائرين أيضاً حيث تلتصق بهم هذه المبادرات وتتحول إلى فكر وفعل جمعي في مجتمعاتهم، وهذا شيء طبيعي لأن التأثير بالأفعال الجيدة أمر محسوم وسوف ينتقل مع الزائر إلى بلده ومجتمعه، ونحن نقف اليوم على أعتاب مرحلة جديدة نسعى من خلالها لبناء الإنسان العراقي، خصوصاً فئة الأطفال والمراهقين والشباب صعوداً، ولا بد أن يتربوا على القيم الحسينية العظيمة، ومنها التكافل، فزيارة الأربعين تقدم دروساً عظيمة وبلا مقابل، وتساعد على بناء شخصية متكافلة مستعدة للتعاون في الخير (التميمي، ٢٠١٨، ص ١٥-١٦)، كما تنعكس قدسية الزيارة الأربعينية في رمزيتها التي تجمع أصحاب الفكر التقدمي والإرادة الحرة من كافة الطوائف الإسلامية، ومن غير المسلمين في إحياء هذه الشعيرة. تترجم الزيارة قوة ترابط المجتمع الواعي بحقوقه وطاقاته واجتماعه حول

القضية الحسينية بما ينجح أداء المراسم والطقوس ، كما وتعد الفئة الشبابية محور القوة الاجتماعية لما يخبزن هؤلاء من طاقات وأفكار قيد الاستقطاب في صناعة المجتمع الحسيني المهدوي، و من هنا، يصبح التعاون بين مختلف الفعاليات الثقافية والدينية والتربوية لتوجيه هذه الفئة وتهذيب مشاعرها ومظاهرها وصقل طاقاتها في طريق خدمة المشروع الحسيني وحفظ أهدافه، بالتوازي مع العمل على تحصينها أمام المشاريع التغريبية الاجتماعية والثقافية التي تعمل على استلاب الشباب من البيئة المؤمنة تحت عناوين التحديث ومجارة العلوم العصرية، لا سيما عبر مواقع التواصل الاجتماعي، إذ إن الزيارة الأربعينية عملية صقل للروابط الاجتماعية والأسرية وللمشاعر الإنسانية فضلاً عن بلورة القيم الحضارية بين الشعوب المختلفة (المصدر نفسه)

الخاتمة

في نهاية رحلتنا الحسينية الأربعينية المباركة والتي أبحرنا فيها بحثاً عن الأبعاد الإنثروبولوجية في الزيارة الأربعينية المقدسة والتي تمكنا من خلال رحلتنا هذه على معرفة ان الدراسات الأنثروبولوجيا_الدينية_ الاجتماعية وهي دراسة متعمقة للشعوب و معتقداتها تبحث كيف تعمل هذه المعتقدات في التشكيلة الثقافية لشخصية الإنسان في المجتمع المعني أو المجتمع تحت الدراسة، و عندما نتكلم عن الديانة هنا فإننا نتكلم عن ديانة مجموعة إنسانية لها ثقافة معينة، تشمل الظواهر الاجتماعية مجموعة متنوعة من العناصر والمواضيع، مثل الثقافة، والهوية الاجتماعية، والتغير الاجتماعي، والسلوك الجماعي، والعلاقات الاجتماعية، والقيم والمعتقدات، ورأينا من خلال رحلتنا في أفق الزيارة المليونية المباركة ان للزيارة الأربعينية تأثير اجتماعي على مستوى المجتمع بأكمله، فهي تعكس التكافل الاجتماعي والترابط الاجتماعي كما أدت هذه الزيارة الأربعينية المباركة إلى تأثيرات اجتماعية أخرى مثل التعاون بين الأفراد وزيادة الوعي الديني والقيم الاجتماعية المشتركة، ومن هذا المنطلق يتوجب تقديم الدراسات الاجتماعية والانثروبولوجية لدراسة الزيارة الأربعينية بوصفها ظاهرة اجتماعية- دينية، وليس بوصفها شعائر دينية فقط، ومن خلال هذه الدراسة أردنا ان نوضح ما يتمحور حول الوصول الهادف الى الغاية الأسمى من زيارة الأربعين للإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين عليه السلام من خلال تسليط الضوء حول الأبعاد الإنثروبولوجية لتلك الزيارة العظيمة، و وجدنا أن هدف هذه الزيارة أن تصنع مناً أناساً وظفوا طاقاتهم، وقدراتهم، وإمكاناتهم وكفاءاتهم في خدمة الإنسان وصالح الإنسان بكامل تجلياتها ومستوياتها وأشكالها، بدءاً من الدائرة الضيقة التي تحصنا، وانتهاء بالدائرة الأوسع والأبعد وصولاً إلى العالمية

والكونية، إذ تعد هذه زيارة رافداً مهماً في التغيير ، بما تحمله من مبادئ لا تحملها أي تجمعات عالمية، كونها تضم أكبر تجمع بشري عرفه العالم في وقت واحد ومكان واحد، ونحن نقف اليوم على أعتاب مرحلة جديدة نسعى من خلالها لبناء الإنسان العراقي، وخصوصاً فئة الأطفال والمراهقين والشباب صعوداً، إذ لا بد أن يتربوا على القيم الحسينية العظيمة، ومنها التكافل، فزيارة الأربعين تقدم دروساً عظيمة وبلا مقابل، وتساعد على بناء شخصية متكافئة مستعدة للتعاون في الخير، كما تنعكس قدسية الزيارة الأربعينية في رمزيتها التي تجمع أصحاب الفكر التقدمي والإرادة الحرة من كافة الطوائف الإسلامية، ومن غير المسلمين في إحياء هذه الشعيرة ، إذ تترجم الزيارة قوة ترابط المجتمع الواعي بحقوقه وطاقاته واجتماعه حول القضية الحسينية بما ينجح أداء المراسم والطقوس ، كما وتعد الفئة الشبابية محور القوة الاجتماعية لما يخرزن هؤلاء من طاقات وأفكار قيد الاستقطاب في صناعة المجتمع الحسيني لتوجيه هذه الفئة وتهذيب مشاعرها ومظاهرها وصقل طاقاتها في طريق خدمة المشروع الحسيني والعمل على تحصينها أمام المشاريع التغريبية الاجتماعية والثقافية التي تعمل على استلاب الشباب من البيئة المؤمنة تحت عناوين التحديث ومجارات العلوم العصرية، إذ ان الزيارة الأربعينية كانت ومازالت بمثابة عملية صقل للروابط الاجتماعية والأسرية وللمشاعر الإنسانية فضلاً عن بلورة القيم الحضارية بين الشعوب المختلفة.

ختاماً وفي نهاية هذه الدراسة فالكمال لله تعالى والعصمة لأهلها، لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتوجه بخالص الشكر ووافر الامتنان الى السادة أعضاء اللجنة العلمية الموقرة على رعايتهم هذه الدراسة وجهودهم الكريمة في مراجعتها وإبداء الملاحظات العلمية القيمة والسديدة عليها والتي ستغني الدراسة وتقومها، آمين

من الله العليّ القدير أن أكون قد وُفقت في هذه الدراسة وتمكنت من إعطاء البحث حقه ولو بالشيء اليسير، راجيةً منه تعالى أن يتقبل هذا الجهد المبذول بقبوله الحسّن، وأن يجعله علماً يُنتفع به، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

نتائج البحث

إنتهت الدراسة بمجموعة من الثمار يمكن أن نعتبرها نتائج للبحث أهمها :

١. مما توصلت اليه الدراسة أن زيارة الأربعين تكتنز قيماً ومبادئ اجتماعية ودينية وثقافية وسياسية متعددة، إذ ومن خلال الدراسات الاجتماعية للزيارة الأربعينية، حيث تم تسليط الضوء على عدة جوانب من تلك الأبعاد الاجتماعية ومما تم التوصل اليه اهم تلك الدراسات ان هذا الحدث الديني الكبير والضخم عالمياً كان له تأثير كبير ومهم وفاعل على بنية المجتمع وتكوينه وتطوره ' وبذلك فإن الزيارة الأربعينية عملت على تقوية الهوية الدينية والانتماء الاجتماعي للمشاركين، وتعزيز الترابط الاجتماعي والوعي الجماعي، ودراسة ما يمكن أن يؤثر ذلك على الديناميكيات الاجتماعية والتوازن في المجتمع، كما لا يخفى تأثير الزيارة الأربعينية على السلوك الاجتماعي والمعتقدات، وكيف يمكن أن تشكل وتغير القيم والتصورات الاجتماعية لدى الأفراد في كل المجتمعات .

٢. مما نتج عن البحث هو دراسة البعد والأثر الانثروبولوجي الذي تحمله زيارة الأربعين كونها تحقق طفرة معنوية ونفسية في البناء الاجتماعي لكل المجتمعات بكافة فئاتها، إذ يمكن أن تساهم في بناء التماسك الاجتماعي إذا ما أستثمر بشكل جيد، وكشفت الدراسة عن مدى الحاجة إلى تحويل هذه الزيارة المقدسة إلى رسالة للعالم لتكشف بدورها عن أفكار جوهرية، إذ إن زيارة الأربعين وكما يراها العديد من المختصين في علم الاجتماع هي عبارة عن مؤتمر إنساني عالمي لا يختص بطائفة من المسلمين دون غيرهم، بل لا

يختص بالمسلمين أنفسهم دون غيرهم من بقية الديانات ، فالناس بمختلف جنسياتهم يتجهون نحو مكان واحد إلى كربلاء المقدسة، لا تفرق بينهم الخلافات السياسية ولا القومية ولا الحزبية فهي انموذج حي للتعاون، وفيها تكسر كل الحواجز بين الطبقات الاجتماعية .

٣. توصل البحث الى ان من اهم التجليات الانثروبولوجية الخاصة لزيارة الأربعين والتي تحولت بحكم التراكم الى سلوكيات طقسية يمكن رصدها وتحديد سماتها العامة هو مفهوم المواطنة، إذ نستطيع أن نقول إن زيارة الأربعين أسهمت في بناء مفهوم المواطنة إذ يجسد الزائر كل مثل المواطنة الصالحة وذلك من خلال سلوكياته وهو في طريق الزيارة ليكون قدوة لكل الناظرة والقادمين من مختلف أرجاء المعمورة . مما نتج عن البحث ان الزيارة الأربعينية هي أكبر مشروع إصلاحى لواقع الأمة، كما أنها أكبر تجمّع إنساني وعالمي يتجاوز الطابع الديني، وتشكّل حدثاً اجتماعياً غير مسبوقٍ في العالم، إذ تحتزن الزيارة أكبر عملية تفاعلية على عدة مستويات ، وهذا الجانب المشرق إذا ما سطلع للإنسانية فيسكون عاملاً مهماً في توحيد بني البشر على أساس القاسم المشترك القائم بينهم وهو الإنسانية.

٤. بحسب ما إطلع عليه البحث : توصل الى ان صورة الحشود المليونية في زيارة الأربعين والطقوس والعادات والخدمات التي يقدمها الناس للزائرين بصورة مجانية، والتعريف بقضية عاشوراء عالمياً هو خطوة أولية جيدة لإيصال رسالة هذا الحدث العظيم والتعريف بأهمية كربلاء كمدينة مقدسة تحمل معاني سامية وصفات انسانية إذ من خلال تسليط الضوء على زيارة الأربعين، ونقل ما يحتويه هذا الحدث الديني السنوي الكبير والصورة الواقعية إلى المتلقي الغربي من أرض الواقع لتعريفهم بهذه الطقوس والمبادرات المجتمعية المهمة التي تحتويها، والتي لا توجد في مجتمعات أخرى، فعندما يتحدث الآخرون عنك فهذه خطوة كبيرة ومهمة، خاصة وأن مسيرة الإمام الحسين

عليه السلام كان لها أثر كبير ولفتت الأنظار في السنوات الأخيرة، مما جعلت الآخرين يريدون التعرف على هذه الزيارة خصوصاً ومذهب التشيع عموماً .

٥. توصل البحث الى ان الزيارة الاربعينية تجسدت فيها الأبعاد التعبوية الاجتماعية بشكل كبير و واضح إذ ان هذا العمل التطوعي العظيم لا نظير له في كل العالم وذلك من خلال قوة الترابط بين أفراد الزائرين كباراً وصغاراً رجالاً ونساءً أثرياء وفقراء رؤساء ومرؤوسين، فلا تميّز بين غني أو فقير، فالكلُّ سواسية، فضلاً عن أنّ هناك حواجز اجتماعية ونفسية وثقافية بين شعوب بعض البلدان والبلدان الأخرى بسبب حروب أو غيرها، ولكننا نراها قد ذابت بسبب هذا الملتقى العام الحاصل في زيارة الأربعين .

٦. توصل البحث الى ان الزيارة الأربعينية لم تختص بمذهب من المذاهب أو دين من الأديان أو فئة محددة بل ضمت جميع الأديان والمذاهب والفئات على امتدادها وتعددتها إذ لفتت ظاهرة التجمّع والحشود الشعبية غير المسبوقة في إحياء شعيرة زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام علماء الاجتماع والسياسة، إلى الأبعاد الأيديولوجية والثقافية والسياسية التي حكمت تاريخياً وما زالت المناخ الثقافي الشيعي منذ بداية الألفية الثالثة . في نهاية هذه الرحلة العلمية إنتهت الدراسة بمجموعة من التوصيات أهمها :

١. زيادة عملية التنظيم والعمل على رفع مستوى التنسيق بين أبناء المحافظات على الصعيدين الرسمي والشعبي بمختلف الميادين الأمنية والخدمية واللوجستية، وتنظيم إجراءات دخول الزائرين ووضع الخطط اللازمة والكفيلة بدخولهم إلى كربلاء و خروجهم منها بانسيابية كبيرة وعلى مدار السنة .

٢. ضرورة تشجيع الفعاليات الثقافية والفكرية والعلمية عبر توفير البنى الأساسية لعقد الفعاليات والمعارض والمؤتمرات والندوات، وكذلك الحوارات التي يمكن أن تستوعب مختلف الأزمات وتقدم حلولاً استراتيجية وكذلك منافذ دبلوماسية، وتحقق التقارب والتعاون والتفاهم بين مختلف المؤسسات والفئات والجماعات والمجتمعات والشعوب

، بل وحتى الدول، إذ أثبتت زيارة الأربعين أنها من أهم النجاحات الدبلوماسية التي يمكن أن تحقق التفاهم بين الشعوب والدول، وتخفيف حدة التوترات، فالمناسبة تحفل بأرقى القيم الإنسانية مثل التقارب والتعايش.

٣. زيادة منسوب الوعي الديني والثقافي والعلمي من خلال عقد الندوات الدينية والعلمية والثقافية، ونشر وتوزيع الكتب الدينية والعلمية مجاناً على الزائرين، وإقامة المؤتمرات والأمسيات العلمية التي تتناسب مع ذكرى الأربعينية، وإبراز أهداف الإمام الحسين (عليه السلام) إلى العالم كله، وتجنب إثارة المسائل الخلافية والإشكالية التي تؤدي إلى الفرقة والنزاع والصدام بين المؤمنين، والتركيز على نقاط الاتفاق والاتحاد كما توحد الناس في زيارة الأربعين تحت راية الإمام الحسين (عليه السلام) الجامعة لكل زواره، والعمل على تأسيس مراكز علمية متخصصة بدراسة الزيارة الأربعينية من مختلف أبعادها وجوانبها، وعمل دراسات ميدانية حول ظاهرة الزيارة، من أجل تشخيص نقاط القوة والضعف في هذه الظاهرة الإيمانية الكبيرة، والعمل على تنمية نقاط القوة فيها، وإصلاح نقاط الضعف والخلل الذي قد يعتري أي ظاهرة بشرية كبيرة.

٤. إظهار الزيارة الأربعينية على المستوى العالمي بصورة واعية وحضارية، واستخدام الخطاب المناسب الذي يفهمه ويتقبله الناس من مختلف الأديان والمذاهب والمدارس الفقهية والفكرية، والاستفادة من وسائل الإعلام الحديثة الناطقة بمختلف اللغات العالمية لتعريف العالم برسالة الإمام الحسين وقضيته العادلة، فالقيم والأهداف التي ضحى من أجلها الإمام هي قيم وأهداف إنسانية يؤمن بها جميع العقلاء في العالم.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. الحليّ. السيّد رضي الدين علي بن موسى بن طاووس، ١٤١٣هـ. اليقين باختصاص مولانا علي (عليه السلام) بإمرة المؤمنين، تحقيق: الأنصاري، الطبعة الأولى، مؤسّسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم-إيران.
٢. نصر. جعفر نجم، ٢٠١٧. محاضرات في انثروبولوجيا الدين، ط١، منشورات ابن سينا بغداد-العراق.
٣. التميمي. رافد، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م. زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) (بحث استدلالي في روايات الوجوب)، الطبعة الأولى، مركز الدراسات التخصّصية في النهضة الحسينية، قسم الشؤون الفكرية في العتبة الحسينية المقدّسة، كربلاء-العراق.
٤. أبو الخير. د. علي، ٢٠٠١م. في رحاب كربلاء، مركز يافا للدراسات والأبحاث، القاهرة.
٥. العقاد. عباس محمود، ١٩٩٩م. أبو الشهداء الحسين بن علي، دار المعارف، القاهرة.
٦. الكربلائي. شيخ ليث، ٢٠١٨. البعد السياسي في زيارة الأربعين، مطبعة النبأ، دمشق.
٧. لكليني. محمد بن يعقوب (ت ٣٢١هـ)، ١٣٦٥ش/ ١٩٨٧م. الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الرابعة، دار الكتب الإسلامية، طهران-إيران.
٨. العاملي، محمد بن الحسن الحرّ (ت ١١٠٤هـ)، ١٤١٤هـ. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الطبعة الثالثة، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، قم-إيران.
٩. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، ١٣٦٥هـ. تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد، دار الكتب الإسلامية، طهران، الجزء ٧، ٢.
٩. المجلسي، محمدباقر (ت ١١١١هـ)، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. بحار الأنوار، مؤسّسة الوفاء،